جماعة أنصار السنة المحمدية
فرع بلبيس – اللجنة العلمية

الخطب المهمة لدعاة الأمة

شهر رجب [١٤٣٦هـ]

إشراف ومراجعة
د/ صبري عبد المجيد الشيخ/ أحمد بن سليمان

إعداد
اللجنة العلمية

obeikandl.com

الأدعيـــــــاء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وبعد،

فما من طائفة في الدنيا إلا وتدعي أنها على الصواب وغيرها في الخطأ ودعوتها سراب، والدعاوى كثيرة ودعاتها كُثُر فإن لم يأت أصحابها بالبينة فدعوتهم زائفة ومناهجهم زائلة ورؤسهم على شفا جرف هاوية، لكن من أخطر هؤلاء من يسِمُ نفسه باسم صحيح وعمله فيه قبيح، فيدَّعون الوسطية وهم من المفرطين أو الغالية، ويقولون نحن أهل الأثر ولا يدرسون في مجالسهم مصنفا لمن غبَرَ، ويزعمون أنهم سلفيون ولكن من السلفية فروا وفي الحزبية وقعوا،

فالسلفية ليست حكرًا على شيخ مشهور أو مؤلَّف مقبول أو مسمى حادث منثور إنما هي منهج قويم وطريق نبوي مستقيم واتباع لا يصرفه تأويل أو هوى أو تحجيم

فالسلفيون حقًّا لهم معالم يعرفون بها ومنها:

إمامهم الكتاب والسنة بالفهم الذي ارتضاه الأئمة ،

يتعبّدون الله بطلب العلم وتعليمه

لا يطلبون العلم طمعا في ظهور أو رئاسة

والعلم الذي يتعلمونه أورثهم التجافي عن الدنيا الفانية

ولا يدخلون في شئ من الباطل في دعوتهم فتراهم أعظم الناس بُعدًا عن أبواب الفتن

يعظمون الحق ويحبونه ولم يحصل لهم ذلك إلاَّ بإهانة الباطل وبغضه وهكذا ملة إبراهيم

معقد الولاء والبراء على الكتاب والسنة وليس على الراية والخوف من الفرقة

خالفوا المتعصبة في أعظم أصولهم وهي موالاة من يوالي شيخي ومعاداة من يعاديه

فأهل السنة في ربوع الأرض سلفيون وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم وتباعدت الديار بينهم

أما المتعصبة فيعتقدون: إن لم يكن معنا فليس منا وإن لم يجرح من جرحه شيخنا فهو مجروح ، وإن لم يقرأ كتاب إمامنا فهو الجهول وإن حفظ الأصول

فالحذر الحذر من قطاع الطريق فليسوا على الجادة وإن زعموا الهداية والتوفيق وعليك بمن قد علموا العلم ودونوا الدواوين ورحلوا وقد أمنوا من فتنة الدنيا وزلات المفترين

قال ابن رجب: وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد: وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحدث من انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الأئمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه أو يأخذ مالم يأخذ به الأئمة من قبله.

ثم تكلم على أناس تعلموا العلم ولكن لم ينتفع بما تعلموا فهم في الظاهر يدعون الحق والحق بريء منهم :

وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع أن يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلاء وطلب العلو والرفعة في الدنيا. والمنافسة فيها. وطلب مباهاة العلماء ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس إليه

ومن علامات ذلك عدم قبول الحق والانقياد إليه والتكبر على من يقول الحق خصوصاً إن كان دونهم في أعين الناس. والإصرار على الباطل خشية تفرق قلوب الناس عنهم بإظهار الرجوع إلى الحق وربما أظهروا بألسنتهم ذم أنفسهم واحتقارها على رؤوس الأشهاد ليعتقد الناس فيهم أنهم عند أنفسهم متواضعون فيمدحون بذلك

فلهذا كان من علامات أهل العلم النافع أنهم لا يرون لأنفسهم حالا ولا مقاما ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على أحد قال الحسن إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المواظب على عبادة ربه وفي رواية عنه قال الذي لا يحسد من فوقه ولا يسخر ممن دونه ولا يأخذ على علم علَّمَه الله أجراً

قال بعض السلف: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لربه فإنه كلما ازداد علماً بربه ومعرفة به ازداد منه خشية ومحبة وازداد له ذلا وانكساراً

ومن علامات العلم النافع أنه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا وأعظمها الرئاسة والشهرة والمدح فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع. فإذا وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف شديد من عاقبته بحيث أنه يخشى أن يكون مكراً واستدراجاً كما كان الإمام أحمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته.

ومن علامات العلم النافع أن صاحبه لا يدعى العلم ولا يفخر به على أحد ولا ينسب غيره إلى الجهل إلا من خالف السنة وأهلها فإنه يتكلم فيه غضباً للّه لا غضباً لنفسه ولا قصداً لرفعتها على أحد.

وأما من علمه غير نافع فليس له شغل سوى التكبر بعلمه على الناس وإظهار فضل علمه عليهم ونسبتهم إلى الجهل وتَنَقُّصهم ليرتفع بذلك عليهم وهذا من أقبح الخصال وأرداها.(١)

وأين العلم وأين أهله في زماننا كدت أن أقول كما قال الإمام الذهبي : وأين أهل الحديث كدت لا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

فالغربة قد استحكمت والغرباء أفراد قليلون في أناس سوء كثيرون والموفق من وجد راحلته ووفق لمن ترجى مصاحبته وصرف عنه أصحاب القيل والقال ، ومن يأكلون لحم البشر ليل نهار

نسأل الله أن يعصمنا من مضلات الفتن وأزمات الزمن وهبوات المحن

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

أحمد بن سليمان

(١) بتصرف من فضل علم السلف

obeikandi.com

١ـ فضل الغني في شرح حديث الولي

عناصر الخطبة:

التحذير من معاداة أولياء الله مَنْ هو الولي؟ أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه.

أسباب تجلب محبة الله. ثمرات محبة الله لعبده فوائد الحديث

التفصيل

ـ لفظ الحديث:

أخرج البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**)). [١]

محاور الحديث:

ـ المحور الأول: التحذير من معاداة أولياء الله أو التعدي عليهم بقول أو فعل

وذلك في قوله ((**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**)). يَعْنِي: فَقَدْ أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ، حَيْثُ كَانَ مُحَارِبًا لِي بِمُعَادَاةِ أَوْلِيَائِي. [٢]

وهذا يدل على خطورة معادة أولياء الله عز وجل، وأن أهلها وصفوا بهذا الوصف، وهو أنهم محاربون لله عز وجل، والله تعالى محارب لهم، فهذا يدلنا على قبح معاداة أولياء الله، وأن المطلوب هو موالاتهم ومحبتهم، وذلك في الله ومن أجل الله، والحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وأما معاداة أولياء الله فهي من أقبح الأمور ومن أسوأ الأشياء، وذلك لأن المطلوب في حقهم الولاية، وليس المعاداة. [٣]

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢)

(٢) جامع العلوم (٢/ ٣٣٥)

(٣) شرح الأربعين النووية – العباد (٣٣/ ٧)

وهذه آيات من كتاب الله تعالى تدل دلالة واضحة على خطورة التعدي على أولياء الله:

قال تعالى{**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**} [الحج: ٣٨]

وقال تعالى{ **إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**} [غافر: ٥١]، وقال تعالى{**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** } [النور: ١٩] وقال تعالى{ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا** } [الأحزاب: ٥٨]

قال ابن رجب رحمه الله: فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَجِبُ مُوَالَاتُهُمْ، وَتَحْرُمُ مُعَادَاتُهُمْ، كَمَا أَنَّ أَعْدَاءَهُ تَجِبُ مُعَادَاتُهُمْ، وَتَحْرُمُ مُوَالَاتُهُمْ، فَإِنَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى نُصْرَةَ أَوْلِيَائِهِ، وَيُحِبُّهُمْ وَيُؤَيِّدُهُمْ، فَمَنْ عَادَاهُمْ، فَقَدْ عَادَى اللَّهَ وَحَارَبَهُ. (١)

وهذا تهديد من رسول الله ﷺ لمن يتعدى على أولياء الله

فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**)). (٢)

وعَنْ عبد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: ((**يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ**)) قَالَ: وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ: مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ. (٣)

---

(١) جامع العلوم (٢/ ٣٣٥)

(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢٣)

(٣) رواه الترمذي (٢٠٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٢٣)

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ**)) (١)

ـ المحور الثاني مَنْ هو الولي؟ وهل الولاية محصورة في مشايخ الطرق؟!

قال تعالى {**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**} [يونس: ٦٢، ٦٣]

قال ابن تيمية رحمه الله: فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا. (٢)

قال ابن رجب رحمه الله: وَأَصْلُ الْوِلَايَةِ الْقُرْبُ، وَأَصْلُ الْعَدَاوَةِ الْبُعْدُ، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِمَا يُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ. (٣)

ـ هل الولي هو منْ تظهر على يديه خوارق العادات ولو كان عاصياً أو معانداً لربِّ الأرض والسموات؟!

قال عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله: إِذَا رَأَيْت إنْسَانًا يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ وَيَمْشِي عَلَى الْمَاءِ أَوْ يُخْبِرُ بِالْمُغِيبَاتِ، وَيُخَالِفُ الشَّرْعَ بِارْتِكَابِ الْمُحَرَّمَاتِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُحَلِّلٍ، أَوْ يَتْرُكُ الْوَاجِبَاتِ بِغَيْرِ سَبَبٍ مُجَوِّزٍ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ شَيْطَانٌ نَصَبَهُ اللَّهُ فِتْنَةً لِلْجَهَلَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِبَعِيدٍ مِنْ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَصَفَهَا اللَّهُ لِلضَّلَالِ، فَإِنَّ الدَّجَّالَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فِتْنَةً لِأَهْلِ الضَّلَالِ، وَكَذَلِكَ يَأْتِي الْخَرِبَةَ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، وَكَذَلِكَ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّهُ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ. (٤)

وقال أبو سعيد الخادمي الحنفي رحمه الله: إذَا رَأَيْت مَنْ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ أَوْ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ وَلَيْسَ مُطَابِقًا لِلشَّرِيعَةِ الْغَرَّاءِ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ فَلَا تُصَدِّقْهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ إذْ لَا طَرِيقَ إلَى اللَّهِ سِوَى الشَّرِيعَةِ فَكُلُّ مُخَالِفٍ مِنْ فَرِيقٍ فَهُوَ غَرِيقٌ أَوْ حَرِيقٌ. (٥)

فإن اشتبه عليك أهوَ من أوْلِيَاءَ الرَّحْمَنِ أوَ من أوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ؟

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٤٦) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٩٢)

(٢) الفتاوى الكبرى (١/ ٢٠٦)

(٣) جامع العلوم (٢/ ٣٣٥)

(٤) قواعد الأحكام (٢/ ٢٣٠)

(٥) بريقة محمودية (١/ ١٠٦)

قال ابن القيم رحمه الله: فَإِنِ اشْتَبَهَ عَلَيْكَ، **فَاكْشِفْهُ فِي ثَلاَثَةِ مَوَاطِنَ:** فِي صَلاَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ لِلسُّنَّةِ وَأَهْلِهَا أَوْ نَفْرَتِهُ عَنْهُمْ، وَدَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ وَالْمُتَابَعَةِ وَتَحْكِيمِ السُّنَّةِ، فَزِنْهُ بِذَلِكَ، وَلاَ تَزِنْهُ بِحَالٍ وَلاَ كَشْفٍ وَلاَ خَارِقٍ، وَلَوْ مَشَى عَلَى الْمَاءِ وَطَارَ فِي الْهَوَاءِ. (١)

من صفات أولياء الله:

أشداء على الكفار – رحماء بينهم. قال تعالى{**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**} [الفتح: ٢٩]

ـ فَضْل النَبِيِّ عَلَى الْوَلِيِّ:

– اتَّفَقَ سَلَفُ الأُمَّةِ وَخَلَفُهَا مِنْ أَهْل السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّ الأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنَ الأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ تَفْضِيل أَحَدٍ مِنَ الأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ **قَال الْقُشَيْرِيُّ:** رُتْبَةُ الأَوْلِيَاءِ لاَ تَبْلُغُ رُتْبَةَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِلإِجْمَاعِ الْمُنْعَقِدِ عَلَى ذَلِكَ. (٢)

قال الطحاوي رحمه الله: وَلَا نُفَضِّلُ أَحَدًا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَنَقُولُ: نَبِيٌّ وَاحِدٌ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَوْلِيَاءِ. (٣)

ـ المحور الثالث أفضل ما يتقرب العبد به إلى ربه الفرائض

وذلك في قوله((وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ))

وهذا يدل على أن فعل الفرائض هو الأحب إلى الله عز وجل، وأن العبد ما تقرب إلى الله عز وجل بشيء أحب إليه تعالى مما افترض عليه، وذلك لأنه يكون أدى واجباً وترك أمراً محرماً، فلو فعل فإنه يؤجر، وإذا ترك الأوامر فإنه يأثم، وكذلك إذا فعل النواهي فإنه يأثم، وإذا تركها من أجل الله عز وجل فإنه يؤجر. (٤)

---

(١) الروح (ص: ٢٦٥)

(٢) بستان العارفين ص ١٦٩.

(٣) شرح الطحاوية (ص: ٥٠٤)

(٤) شرح الأربعين النووية – العباد (٣٣/ ٨)

وعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه **قَالَ:** أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَدَاءُ مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَصِدْقُ النِّيَّةِ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رحمه الله، **فِي خُطْبَتِهِ:** أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَاجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا افْتَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ هَذِهِ الْفَرَائِضَ لِيُقَرِّبَهُمْ مِنْهُ، وَيُوجِبَ لَهُمْ رِضْوَانَهُ وَرَحْمَتَهُ.

قال ابن رجب رحمه الله: وَأَعْظَمُ فَرَائِضِ الْبَدَنِ الَّتِي تُقَرِّبُ إِلَيْهِ: الصَّلاَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ))**. (١)

قال الشيخ عبد المحسن البدر حفظه الله: في هذه الجملة وما بعدها بيان أنَّ ولاية الله إنَّما تحصل بالتقرُّب إليه بأداء الفرائض، والإتيان مع ذلك بالنوافل، وهو يدلُّ على أنَّ التقرُّبَ بأداء الفرائض أحبُّ إلى الله من النوافل؛ لأنَّ في ذلك فعل ما أوجب الله وترك ما حرَّم الله، والآتي بالواجبات التارك للمحرَّمات هو المقتصد، ومَن أتى بها وأتى بالنوافل معها فهو السابق بالخيرات. (٢)

ـ المحور الرابع الأسباب التي تجلب محبة الله تعالى:

منها: كثرة النوافل. كما في حديث الباب.

قال ابن القيم رحمه الله: التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ. فَإِنَّهَا تُوَصِّلُهُ إِلَى دَرَجَةِ الْمَحْبُوبِيَّةِ بَعْدَ الْمَحَبَّةِ. (٣)

ومنها: متابعة الرسول ﷺ.

قال تعالى{ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**} [آل عمران: **٣١**]

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٦)

(٢) فتح القوي المتين (ص: ١٢٨)

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٨)

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: لَمَّا ادَّعَتِ الْقُلُوبُ مَحَبَّةَ اللَّهِ: أَنْزَلَ اللَّهُ أيةَ المِحْنَة {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ}. (١)

ومنها: الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين والجهاد في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.

قال تعالى{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**} [المائدة: ٥٤]

ومنها: كثرة ذكره سبحانه؛ لأنه من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَلاَ رَيْبَ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَكْثَرَ مَنْ ذِكْرِهِ. (٢)

ومنها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم؛ لأنه ما تقرب المتقربون بمثل كلام الله تعالى، وهو القرآن.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ:** مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَإِنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ تَعَالَى، فَإِنَّمَا الْقُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ، فَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. (٣)

عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنْتُ جَارًا لِخَبَّابٍ فَخَرَجْتُ مَعَهُ يَوْمًا مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي، فَقَالَ: يَا هَنْتَاهْ تَقَرَّبْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّكَ لَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَلامِهِ. (٤)

وقَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعْتُمْ مِنْ كَلامِ رَبِّكُمْ. (٥)

ـ فضل المداومة والاستمرار على العمل الصالح

---

(١) مدارج السالكين(٣/ ٢٢)

(٢) مدارج السالكين(٣/ ١٧)

(٣) أمالي ابن سمعون الواعظ (ص: ١٩٢)

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (ص: ١٦٥)

(٥) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٣٨٠)

لقوله ((وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ)) فلا يعتبر الإنسان متقرباً إلى الله بالنوافل محافظاً عليها إلا باستمراره على هذه الطاعة، وإلا فلا يعتبر متقرباً إلى الله بالنوافل. فالعمل الصالح المستمر مهم لأمرين:

أولاً: أن هذا هو هدي النبي ﷺ.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَمِلَ عَمَلاً أَثْبَتَهُ)). (١)

ثانياً: أن الأعمال المداوم عليها أحب إلى الله تعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: ((أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ)). (٢)

ـ المحور الخامس ثمرات محبة الله تعالى للعبد

١ – حفظ الله للعبد في سمعه وبصره وجوارحه

وذلك في قوله ((**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**))

فالله إذا أحب إنساناً وفقه وسدده، ففي بصره فلا يرى إلا خيراً، وفي سمعه فلا يسمع إلا خيراً، وفي يده فلا يبطش إلا على حق. وفي رجله فلا يمشي إلا إلى خير. وإذا ظفر الإنسان بمحبة الله عز وجل سدده الله عز وجل في تصرفاته وفي أفعاله، فلا يستعمل سمعه إلا في خير، ولا يستعمل بصره إلا في خير، ولا يستعمل يده إلا في خير، ولا يستعمل رجله إلا في المشي إلى خير، فيكون مسدداً في أعماله وفي تصرفاته وفي حركاته وسكناته؛ لأن هذه الحواس وهذه النعم التي أنعم الله تعالى بها على العبد في صحته وعافيته استعملها فيما يعود عليه بالخير، وامتنع وابتعد عن استعمالها فيما يعود عليه بالضر. (١)

---

(١) رواه مسلم (٧٦٤)

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٥) ومسلم (٧٨٣)

٢- استجابة الله عز وجل لدعاء عبده

وذلك في قوله ((وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ))

قال ابن رجب رحمه الله: يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْمَحْبُوبَ الْمُقَرَّبَ، لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ خَاصَّةٌ تَقْتَضِي أَنَّهُ إِذَا سَأَلَ اللَّهَ شَيْئًا، أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ، أَعَاذَهُ مِنْهُ، وَإِنْ دَعَاهُ، أَجَابَهُ، فَيَصِيرُ مُجَابَ الدَّعْوَةِ لِكَرَامَتِهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (٢)

فعَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((**إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**)). (٣)

وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مَعْرُوفًا بِإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ منهم:

- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ، فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلاً أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ:

---

(١) شرح الأربعين النووية - العباد (٣٣/ ٩)

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٤٨)

(٣)رواه أبو داود (١٤٨٨) وصححه الألباني في صحيح(١/ ٣٦٢)

شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ. (١)

- أنس بن النضر رضي الله عنه:

عَنْ أَنَس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ الرُّبَيِّعَ عَمَّتَهُ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهَا العَفْوَ فَأَبَوْا، فَعَرَضُوا الأَرْشَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَوْا، إِلَّا القِصَاصَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ؟ لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَا أَنَسُ، كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ)). فَرَضِيَ القَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ)). (٢)

- سعيد بن زيد رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة:

عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ، ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: ((مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ))، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا. فقال: اللهُمَّ، إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاجْعَلْ قَبْرَهَا فِي دَارِهَا، قَالَ: " فَرَأَيْتُهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الْجُدُرَ تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، فَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي الدَّارِ مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا. (٣)

٣ – تفريج كربه وذلك في قوله ((وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ)) كان بدمشق رجل له بغل يكريه من دمشق إلى تل الزبداني (مكان مشهور بين دمشق وبعلبك) ويحمل عليه

(١) رواه البخاري (٧٥٥)

(٢) رواه البخاري (٤٥٠٠)

(٣) رواه مسلم (١٦١٠)

الناس فذكر أنه أكرى بغله مرة رجل يحمل عليه متاعا له بأجرة معلومة فلما صار خارج الدرب لقيه رجل وسأله أن يحمله على رأس الحمل ويأخذ منه أجرته، قال: فرغبت في الكراء وحملته فوق الحمل، قال: فلما صرنا ببعض الطريق، قال لي: هل لك أن تأخذ بنا هذا الطريق فإنه مختصر، قال: فقلت له أنا لا أعرف هذا الطريق، فقال: أنا أعرفه وقد سلكتُه مرارا كثيرة، قال: فأخذت في ذلك الطريق فأشرفت على موضع وعرٍّ موحش وواد عظيم هائل واستوحشت وجعلت أنظر يمنة ويسرة ولا أرى أحدا ولا أرى أيَّ إنسان، فبينا أنا كذلك إذا به يقول لي: امسك برأس البغل حتى أنزل! فقلت له: أيش تنزل وقد أشرفت في هذا الموضع مر بنا نلحق البلد، فقال: خذ ويلك برأس البغل حتى أنزل وقد أشرفت على واد عظيم يخايل لي أن فيه أقواما موتى، فأمسكت برأس البغل حتى نزل ثم شدَّ على نفسِه ثيابَه وأخرج سكينا عظيما من وسطه وقصدني به ليقتلني فعدوتُ من بين يديه وأنا أقول يا هذا خذ البغل وما عليه، فقال: هذا هو لي وإنما أريد أقتلك، فخوفته بالله عز وجل وتضرعت إليه وبكيت وحذرته من عقوبة تلحقه فأبى وقال: ليس بدّ من قتلك فاستسلمتُ في يده وقلت: دعني أصلي ركعتين ثم افعل ما بدا لك، فقال: افعل ولا تطول فابتدأت بالتكبير وارتجتْ عليَّ القراءة حتى لم أذكر من القرآن حرفا واحدا وأنا واقف متحير وهو جالس بحذائي يقول: هيه أفرغ فأجرى الله على لساني بعد وقت فقرأت { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ } فإذا أنا بفارسٍ قد أقبل من نحو الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤادَه وخرَّ صريعا، فتعلقتُ بالفارس وهو منصرفٌ وقلت له: بالله مَن أنت الذي مَنَّ الله بحياتي بظهورك فقال أنا رسول " من يجيب المضطر إذا دعاه " قال فأخذت البغل والحمل ورجعت إلى دمشق سالما.[1]

٤- قذف محبته في قلوب أوليائه

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٨/ ٢٥١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ)). (١)

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرازي رحمه الله: عَلَى قَدْرِ حُبِّكَ لِلَّهِ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ خَوْفِكَ مِنَ اللَّهِ يَهَابُكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ شُغْلِكَ بِاللَّهِ يَشْتَغِلُ فِي أَمْرِكَ الْخَلْقُ. (٢)

أهمُ الدروس والعبر المستفادة من الحديث

١ – بيانُ فضلِ أولياء الله، وشدَّة خطر معاداتهم.

٢ –أنَّ ولايةَ الله عزَّ وجلَّ تحصل بأداء الفرائضِ وفعلِ النوافل.

٣ – أنَّ أداءَ الفرائض هو أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى، وذلك لما فيها من إظهار عظمة الربوبية، وذلِّ العبودية

٤ – إثباتُ صفة المحبَّة لله عزَّ وجلَّ.

٥ – تفاوتُ الأعمالِ على حسب محبَّة اللهِ إيَّاها.

٦ – أنَّ فعلَ النوافلِ بعد أداءِ الفرائضِ يجلبُ محبَّة الله عزَّ وجلَّ.

٧ – أنَّ محبَّة الله عزَّ وجلَّ تجلبُ للعبد إجابةَ دعائهِ وإعاذتهِ مِمَّا يخافُ.

٨– أولياء الله تعالى يتفاوتون في درجاتهم وأعمالهم فهم إما سابقون أو مقرَّبون.

٩– من لم يتقرب إلى الله تعالى بالطاعات والبعد عن المعاصي والمنكرات، فليس بولي لله، بل وليٌّ للشيطان، ولو طار في الهواء أو مشى على الماء. (٣)

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩) ومسلم (٢٦٣٧)

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ١٢٠٦)

(٣) الخلاصة في شرح حديث الولي (ص: ٧٧)

٢- حق اليتيم في الشريعة الإسلامية

عناصر الخطبة:

معنى كفالة الأيتام
صور مشرقة في كفالة الأيتام
صور مهمة في كفالة الأيتام
حقوق وضوابط وفضائل في كفالة اليتيم
الوسائل المعينة على كفالة الأيتام
أخطاء شائعة حول كفالة الأيتام

التفصيل

معنى كفالة الأيتام:

هي ضم اليتيم الذي مات عنه أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلم، والإنفاق عليه والقيام بمصالحه وشئونه ويستمر وصفه باليتم حتى يبلغ الحلم لقوله ﷺ: (لا يتم بعد الاحتلام). (١) قال الحافظ ابن حجر: وكافل اليتيم أي القيم بأمره ومصالحه. (٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الْيَتِيمُ فِي الْآدَمِيِّينَ مَنْ فَقَدَ أَبَاهُ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ هُوَ الَّذِي يُهَذِّبُهُ؛ وَيَرْزُقُهُ؛ وَيَنْصُرُهُ: بِمُوجَبِ الطَّبْعِ الْمَخْلُوقِ؛ وَلِهَذَا كَانَ تَابِعًا فِي الدِّينِ لِوَالِدِهِ؛ وَكَانَ نَفَقَتُهُ عَلَيْهِ وَحَضَانَتُهُ عَلَيْهِ وَالْإِنْفَاقُ هُوَ الرِّزْقُ. و " الْحَضَانَةُ " هِيَ النَّصْرُ لِأَنَّهَا الْإِيوَاءُ وَدَفْعُ الْأَذَى. فَإِذَا عُدِمَ أَبُوهُ طَمِعَتْ النُّفُوسُ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ ظَلُومٌ جَهُولٌ وَالْمَظْلُومُ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ فَتَقْوَى جِهَةُ الْفَسَادِ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ الْمُقْتَضَى وَمِنْ جِهَةِ ضَعْفِ الْمَانِعِ وَيَتَوَلَّدُ عَنْهُ فَسَادَانِ: ضَرَرُ الْيَتِيمِ؛ الَّذِي لَا دَافِعَ عَنْهُ وَلَا يُحْسَنُ إلَيْهِ وَفُجُورُ الْآدَمِيِّ الَّذِي لَا وَازِعَ لَهُ. فَلِهَذَا أَعْظَمَ اللَّهُ أَمْرَ الْيَتَامَى فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ. (٣)

حقوق وضوابط وفضائل في كفالة اليتيم

١- **أمرنا الله تعالى بالإحسان القولي والفعلي إلى اليتامى** قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧٣)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣١٨٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٥١).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤/ ١٠٨).

وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: ٣٦].

٢- أمرنا الله تعالى بمراعاة الجانب النفسي لليتامى بلين الكلام لهم وعدم قهرهم والابتسامة في وجوههم وبذل المعروف والندى إليهم والتلطف بهم وإكرامهم قال تعالى: { **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا**} [الكهف: ٨٢]، وقال تعالى: {كَلاَّ بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ } [الفجر: ١٧]، وقال تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ} [الضحى: ٩]، وقال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ } [الماعون: ١، ٢].

قال القرطبي: أي لا تسلط عليه بالظلم، ادفع إليه حقه، واذكر يتمك. (١)

قال الشيخ السعدي: { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ } أي: لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك. (٢)

٣-أمرنا الله تعالى بحفظ أموال الأيتام، وعدم التعرض لها بسوء، وعدَّ ذلك من كبائر الذنوب وعظائم الأمور، ورتب عليه أشد العقاب، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠]

وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } [الإسراء: ٣٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا

(١)الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢/٣٤٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/٩٢٨).

وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ). (١)

قال السعدي في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } شق ذلك على المسلمين، وعزلوا طعامهم عن طعام اليتامى، خوفا على أنفسهم من تناولها، ولو في هذه الحالة التي جرت العادة بالمشاركة فيها، وسألوا النبي ﷺ عن ذلك، فأخبرهم تعالى أن المقصود، إصلاح أموال اليتامى، بحفظها وصيانتها، والاتجار فيها وأن خلطتهم إياهم في طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامى، لأنهم إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه، والمرجع في ذلك إلى النية والعمل، فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله، فلو دخل عليه شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس، ومن علم الله من نيته، أن قصده بالمخالطة، التوصل إلى أكلها وتناولها، فذلك الذي حرج وأثم، و الوسائل لها أحكام المقاصد. (٢)

٤-أمرنا الله تعالى بالنفقة على اليتامى والشفقة والرحمة بهم وبين سبحانه أن هذه الأعمال من أعظم أعمال البر والخير والإحسان قال تعالى: {**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** } [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: {**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**} [البقرة: ٢١٥]

قال الشيخ السعدي: ذكر المنفق عليهم، وهم أولى الناس ببرك وإحسانك. من الأقارب الذين تتوجع لمصابهم، وتفرح بسرورهم، الذين يتناصرون ويتعاقلون، فمن أحسن البر

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/ ٩٩).

وأوفقه، تعاهد الأقارب بالإحسان المالي والقولي، على حسب قربهم وحاجتهم.

ومن اليتامى الذين لا كاسب لهم، وليس لهم قوة يستغنون بها، وهذا من رحمته [تعالى] بالعباد، الدالة على أنه تعالى أرحم بهم من الوالد بولده، فالله قد أوصى العباد، وفرض عليهم في أموالهم، الإحسان إلى من فقد آباؤهم ليصيروا كمن لم يفقد والديه، ولأن الجزاء من جنس العمل فمن رحم يتيم غيره، رُحِمَ يتيمه. (١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **(السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ)**. (٢)

قال ابن بطال: من عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار، فليعمل بهذا الحديث وليسع على الأرامل والمساكين ليحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله دون أن يخطو في ذلك خطوة، أو ينفق درهمًا، أو يلقى عدوًا يرتاع بلقائه، أو ليحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال درجتهم وهو طاعم نهاره نائم ليله أيام حياته، فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لا تبور، ويسعى على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى فيربح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولانصب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. (٣)

٥-أمرنا الله تعالى بالمحافظة على أموال اليتامى ودفع المضار عنهم وعن أموالهم والسعي في إصلاح أحوالهم والإقساط إليهم وعدم ظلمهم قال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }** [البقرة: ٢٢٠]، وقال تعالى: **{ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا}**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٨٣/١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢١٨/٩).

[النساء: ٢]، وقال تعالى: {**وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**} [النساء: ٦]

قال الشيخ السعدي – رحمه الله -: { وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا } هذا أول ما أوصى به من حقوق الخلق في هذه السورة. وهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافلين لهم، وهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم. فأمر الرءوف الرحيم عباده أن يحسنوا إليهم، وأن لا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، وأن يؤتوهم أموالهم إذا بلغوا ورشدوا، كاملة موفرة، وأن لا { تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ } الذي هو أكل مال اليتيم بغير حق. { بِالطَّيِّبِ } وهو الحلال الذي ما فيه حرج ولا تبعة. { وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ } أي: مع أموالكم، ففيه تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة، التي قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له من الرزق في ماله. فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى { حُوبًا كَبِيرًا } أي: إثمًا عظيمًا، ووزرًا جسيمًا. ومن استبدال الخبيث بالطيب أن يأخذ الولي من مال اليتيم النفيس، ويجعل بدله من ماله الخسيس. وفيه الولاية على اليتيم، لأن مِنْ لازم إيتاء اليتيم ماله، ثبوت ولاية المؤتي على ماله. وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه والقيام به بما يصلحه وينميه وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار. (١)

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ وَلِي يَتِيمٌ قَالَ: **(كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَادِرٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ)**. (٢)

٦-كفالة اليتيم سبب من أسباب مرافقة النبي ﷺ في الجنة:

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/١٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٧٢)، وابن ماجة (٢٧١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٤٩٧).

عَنْ سَهْلِ بن سعد الساعدي ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا)**. (١)

قال ابن بطال – رحمه الله –: حق على كل مؤمن يسمع هذا الحديث أن يرغب فى العمل به ليكون فى الجنة رفيقًا للنبى عليه السلام ولجماعة النبيين والمرسلين – صلوات الله عليهم أجمعين – ولا منزلة عند الله فى الآخرة أفضل من مرافقة الأنبياء. (٢)

٧-الرحمة والشفقة باليتيم سبيل إلى إصلاح القلب وتليينه ولو بالعمل اليسير وفيها إرضاء للرب جل وعلا: عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَجُلاً شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ لَهُ: **(إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمْ الْمِسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ)**. (٣)

٨- بين النبي ﷺ أن كفالة الأيتام وتقريبهم والقيام على مؤنتهم وما يحتاجونه سبيل إلى دخول الجنة والنجاة من النار: عن مالك بن الحارث ﷺ قال: النَّبِيَّ ﷺ قال: **(مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فِكَاكَهُ مِنْ النَّارِ يُجْزَى بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ)**. (٤)

٩-كفالة اليتيم تساهم في بناء مجتمع سليمٍ خالٍ من الحقد والكراهية وتسود فيه روح المحبة والمودة كما في حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ((**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**)). (٥)

١٠-في كفالة اليتيم حفظ لذريتك من بعدك وقيام الآخرين بالإحسان إلى أيتامك قال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٤) ومسلم (٢٩٨٣).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢١٧/٩).

(٣)- أخرجه أحمد (٧٥٧٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٨٥٤).

(٤)- أخرجه أحمد (٢٠٣٣١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٨٩٥).

(٥) أخرجه البخاري (٦٠١١).

تعالى: { **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**} [النساء: ٩]، فكافل اليتيم اليوم إنما يعمل لنفسه لو ترك ذرية ضعافاً، فكما تُحسن إلى اليتيم اليوم يُحسن إلى أيتامك في الغد، وكما تدين تدان.

صور مشرقة في كفالة الأيتام:

كفالة نبي الله زكريا لمريم عليها السلام:

قال الله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا** ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال ابن كثير: "أي: جعَلَه كافِلاً لها، قال ابن إسحاق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة"، ثم قال – أي: ابن كثير –: "وإنما قدَّر الله كون زكريا كفلها لسعادتها؛ لتقتَبِس منه علمًا جَمًّا نافِعًا، وعملاً صالحًا. . . ولأنه كان زوج خالتها – على ما ذكَرَه ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما – وقيل: زوج أختها – كما ورد في الصحيح –: ((فإذا بِيحيى وعِيسَى، وهُمَا ابنَا الخالَة)). (١)

ونجد في الآية الأخرى في السورة نفسها، وفي السياق نفسه، صورة رائعة لمجموعةٍ من أهل الخير، يَتسابَقون فيما بينهم على كفالة يتيمتهم مريم بنت عمران؛ يقول – تعالى –: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فقد كان كلُّ واحدٍ منهم يطمَع في أن يفوز برعايتها، ولم يجدوا بُدًّا من الاقتِراع فيما بينهم، وإلقاء أقلامهم في نهر الأردن أيهم يفوز بهذا الشرَف العظيم؛ ألا وهو كفالة اليتيمة، حتَّى فاز بذلك نبي الله زكريا – عليه السلام.

كفالة النبي ﷺ للأيتام:

ممَّا يضع البلسم على جِراح الأيتام في المجتمع المسلم، أنَّ نبيَّنا ﷺ أرادَه ربه – عزَّ وجلَّ – أن ينشأ يتيمًا، غير أنه حاز الكَمال في التربية برِعاية ربِّه له، والذي خاطَبَه –

(١) – تفسير ابن كثير(٢/٣٥)

سبحانه – في معرض المنِّ والتَّذكير بالنِّعمة في قوله – تعالى –: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾ [الضحى: ٦]، متنقِّلاً بين حَنان الأم الذي لم يدُم سوى ستِّ سنوات من عمره المبارَك، وبين رِعاية الجد عبدالمطلب، التي لم تَدُم بعدُ سِوى عامَيْن، ثم كفالة عَمِّه أبي طالب، حتَّى شبَّ عن الطوق، ودخَل في سن الشباب ﷺ وكان كلُّ ذلك بتدبيرٍ من العليم الحكيم، ليُعْلِمه حقَّ اليتيم

فعلم من ذلك الفضل في هذا فكان من صفاته كما قالت خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ معددة الصفات العظيمة التي جبل عليها عليه الصلاة والسلام قبل البعثة: **"كلا والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتَصِل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتَقري الضيف، وتعين على نوائب الحق"**(١)

ومعنى "تحمل الكل": تكفل اليتيم.

وكان الصحابة أعلم الناس بفضل إكرام اليتيم فلذلك كانوا أحرص الناس على ذلك، وإليك بعض الأمثلة:

١- عن الحسن أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله من اليتامى، فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتيم فلم يجده؛ وكانت له سويقة محلاة يشربها بعد غدائه، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء، وبيده السويقة ليشربها، فناولها إياه وقال: خذها فما أراك غبنت. (٢)

وكان حكيم بن حزام لا يأكل طعاما وحده إذا أتي بطعامه قدره فإن كان يكفي اثنين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك قال ادعوا من أيتام قريش واحدا أو اثنين على قدر طعامه. (٣)

(١) – أخرجه البخاري(٣) ومسلم(٢٥٢)

(٢) – حلية الأولياء لأبي نعيم(١/٢٩٩)

(٣) – تاريخ دمشق لابن عساكر(١٥/١٢٢)

فهذه أمثلة تدل على حرص الصحابة والصحابيات على إكرام اليتيم وكفالته؛ وهم من يُقتدى بهم رضوان الله عنهم أجمعين.

الوسائل المعينة على كفالة الأيتام:

١-محبة الله تعالى والسعي في بذل الأسباب التي بها تستجلب محبة الله ومنها كفالة الأيتام.

٢-محبة النبي ﷺ والرغبة في القرب منه ومجاورته في الجنة.

٣-قراءة القرآن الكريم بتدبر لا سيما الآيات التي وردت في شأن الأيتام وحسن رعايتهم.

٤-استشعار المسئولية تجاه الأيتام وضرورة العناية بهم.

٥-حب الخير للناس ولا سيما الضعفة والمحتاجين والأيتام.

٦-إنشاء الدور والمؤسسات التى تقوم برعاية الأيتام وكفالتهم.

٧- توعية المجتمع بضرورة وأهمية كفالة الأيتام عن طريق الوسائل المختلفة.

صور مهمة في كفالة الأيتام:

الكفالة نوعان:

١- الكفالة المادية مثل:

١-إنشاء مشاريع للإغاثة الطارئة لأسر الأيتام للتخفيف من الوضع الاقتصادي.

٢- دعم مشروعات كفالات الأيتام والرعاية الشاملة لليتيم.

٣- دعم مشروعات تمويل المشاريع الصغيرة لأسر الأيتام.

٤- تأمين مراكز متخصصة لإيواء الأيتام.

٥- تنفيذ مشروعات كفالة تعليم الأيتام في المدارس والجامعات.

٦- دعم مشروعات تشغيل الأيتام بعد بلوغ سن الرشد.

٢- الكفالة المعنوية مثل:

١-الرحمة والشفقة بهم والابتسامة في وجوههم ومداعبتهم لإدخال السعادة عليهم.

٢-زيارة الأيتام في منازلهم سواء كانت منازلهم الخاصة أو المراكز المتخصصة لإيوائهم.

٣-الخروج معهم إلي المنتزهات والرحلات التي تكون سبيل إلى اختلاطهم بالمجتمع من جهة وترفيههم من جهة أخرى.

٤-تعليمهم الأخلاق الإسلامية والآداب النبوية وتحفيظهم القرآن والسنة.

٥-تعليمهم أحكام الطهارة والصلاة.

٦-الاعتناء بالقائمين على الذين يقومون على أمور اليتامى بالتعليم والتدريس وذلك بإعداد الدورات العلمية والأخلاقية وكيفية إدخال السرور عليهم (صفات المربي).

أخطاء شائعة حول كفالة الأيتام:

ومن المفاهيم الخاطئة أن كفالة اليتيم تقتصر على الاهتمام المادي به فقط، ولكن الإسلام يرتقي بهذه المهمة من دركات الماديات والحسيات إلى درجات المعنويات والمعاملة السامية، فيأمر بإصلاحهم، ويحض على مخالطتهم وإشراكهم في المجتمع، ذلك أن العزلة لها آثارها الخطيرة على نفسية الطفل، خاصة إذا كان يعاني من هذه الحساسية التي يعاني منها من فقد أحب الناس إليه، حيث يقول تعالي في معرض حديثه عن منظومة القيم الأسرية والاجتماعية: (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم)، وليعلم كافل اليتيم أن إكرام اليتيم يكون بقدر مخالطته للمجتمع واندماجه فيه. وليعلم الكثير أن هناك أيتاماً أغنياء، لكنهم يحتاجون لكفالة وإكرام معنوي، والذي ذكرناه في الصور المعنوية السابقة

والحمد لله رب العالمين

٣-أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ حفصة بنت عمر بن الخطاب

عناصر الخطبة:

التعريف بحفصة **زواج النبي منها**
مناقبها **وفاتها**
التفصيل

التعريف بحفصة:

هي السِّتْرُ الرَّفِيْعُ بِنْتُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ.

تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا مِنْ خُنَيْسِ بنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ أَحَدِ المُهَاجِرِيْنَ فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ مِنَ الهِجْرَةِ.

وَمُسْنَدُهَا فِي كِتَابِ بَقِيِّ بنِ مَخْلَدٍ سِتُّوْنَ حَدِيْثاً. اتَّفَقَ لَهَا الشَّيْخَانِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيْثَ وانفرد مسلم بستة أحاديث.

وحياتها رضي الله عنها مليئة بالدروس والعبر والفضائل

١- أنها من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أهل بيته فكل ما رود من الفضائل العامة في الصحابة وأهل البيت وأمهات المؤمنين فهي داخلة فيه رضي الله عنها وأرضاها

٢- الهجرة إلى الله ورسوله: فما ورد من فضل للمهاجرين لها فيه حظ ونصيب

وتبقى حفصة زوجة لهذا الرجل من السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله ﷺ يشهد الرجل بدرًا ويصاب بجراح يموت على إثرها وتبقى حفصة أرملة في العشرين من عمرها محنة عظيمة، ولكن القدر خبأ لها شيئًا آخر؛ وبعد انقضاء العدة يشاء الله تعالى لحفصة أن ترتقي بعد هذه المحنة درجة أعلى؛ يبحث عمر عن زوج لابنته ويحاول أن يختار لها خير من يرى من الرجال ولكن اختيار الله أسبق وأفضل للمرء من اختياره لولده ولنفسه وها هو الحديث وقصة الزواج المبارك

*** زواج النبي ﷺ من حفصة رضي الله عنها.**

عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ،

وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لاَ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ ((خَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ)) فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ، إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا(١)

مناقبها:

عبادتها رضي الله عنها

* قال ابن سعد: أَخْبَرَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ. حَدَّثَنَا جُوَيْرِيَةُ بْنُ أَسْمَاءٍ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: مَا مَاتَتْ حَفْصَةُ حَتَّى مَا تُفْطِرُ(٢).

*** حرصها على الاعتكاف مع رسول الله ﷺ**

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ، يَعْتَكِفُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، فَكُنْتُ أَضْرِبُ لَهُ خِبَاءً فَيُصَلِّي الصُّبْحَ ثُمَّ يَدْخُلُهُ، فَاسْتَأْذَنَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ أَنْ تَضْرِبَ خِبَاءً، فَأَذِنَتْ لَهَا، فَضَرَبَتْ خِبَاءً، فَلَمَّا رَأَتْهُ زَيْنَبُ ابْنَةُ جَحْشٍ ضَرَبَتْ خِبَاءً آخَرَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ رَأَى الأَخْبِيَةَ، فَقَالَ: ((مَا هَذَا؟)) فَأُخْبِرَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَلْبِرَّ تُرَوْنَ بِهِنَّ)) فَتَرَكَ الِاعْتِكَافَ ذَلِكَ الشَّهْرَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ عَشْرًا مِنْ شَوَّالٍ (٣)

وهذا يستفاد منه: حرصها على طاعة الله عز وجل. .

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ٨٣)٤٠٠٥

(٢) الطبقات الكبرى ط العلمية (٨/ ٦٨).

(٣) صحيح البخاري (٣/ ٤٨) ح (٢٠٣٣).

صوامة قوامة

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ: ((**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ، ثُمَّ رَاجَعَهَا**))(١)

وفي بعض ألفاظه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ تَطْلِيْقَةً ثُمَّ رَاجَعَهَا بِأَمْرِ جِبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَهُ بِذَلِكَ وَقَالَ: "**إِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ وَهِيَ زَوْجَتُكَ فِي الجَنَّةِ**" (٢).

وقوله: (فَإِنَّهَا صَوَّامَة قَوَّامَة) بِالتَّشْدِيدِ أَي دائمة الْقيام للصَّلاَة (وَإِنَّهَا زَوجتك فِي الْجنَّة) وَكَذَا جَمِيع زَوْجَاته(٣). قال الألباني: دل الحديث على جواز تطليق الرجل لزوجته ولو أنها كانت صوامة قوامة ولا يكون ذلك بطبيعة الحال إلا لعدم تمازجها وتطاوعها معه.

حبها لرسول الله ﷺ وحب السير معه.

عَنْ عَائِشَةَ، " أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَطَارَتِ القُرْعَةُ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: أَلاَ تَرْكَبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي وَأَرْكَبُ بَعِيرَكِ، تَنْظُرِينَ وَأَنْظُرُ؟ فَقَالَتْ: بَلَى، فَرَكِبَتْ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جَمَلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهَا، ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلُوا، وَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةُ، فَلَمَّا نَزَلُوا جَعَلَتْ رِجْلَيْهَا بَيْنَ الإِذْخِرِ، وَتَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَوْ حَيَّةً تَلْدَغُنِي، وَلاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيْئًا "(٤)

حرصها على إكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ العَسَلَ وَالحَلْوَاءَ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ العَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَاحْتَبَسَ

(١) سنن أبي داود (٢/ ٢٨٥) ح (٢٢٨٣)، وصححه الألباني.

(٢) صححه الألباني بمجموع طرقه في إرواء الغليل (٢٠٧٧)، وفي الصحيحة (٢٠٠٧)، وقال في الضعيفة: (١٣/ ٧٦٢): وفي بعض طرقه زيادة: "فإنها صوامة قوامة"، فهذه أصح، لأنها رويت من طرق يقوي بعضها بعضاً.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ١٩١).

(٤) صحيح البخاري (٧/ ٣٣) ٥٢١١

أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَغِرْتُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسَلٍ، فَسَقَتِ النَّبِيَّ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَقُلْتُ لِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ: إِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ، فَإِذَا دَنَا مِنْكِ فَقُولِي: أَكَلْتَ مَغَافِيرَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: لاَ، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ، فَقُولِي لَهُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ، وَسَأَقُولُ ذَلِكِ، وَقُولِي أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ ذَاكِ، قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى البَابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَادِيَهُ بِمَا أَمَرْتِنِي بِهِ فَرَقًا مِنْكِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قَالَ: ((لاَ)) قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ؟ قَالَ: ((سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ)) فَقَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ قُلْتُ لَهُ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى صَفِيَّةَ قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَى حَفْصَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: ((لاَ حَاجَةَ لِي فِيهِ)) قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي (١)

خطر ترديد الشائعات

* عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ، أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَالَ: مَكَثْتُ سَنَةً أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ عَنْ آيَةٍ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَسْأَلَهُ هَيْبَةً لَهُ، حَتَّى خَرَجَ حَاجًّا فَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا رَجَعْنَا وَكُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ إِلَى الأَرَاكِ لِحَاجَةٍ لَهُ، قَالَ: فَوَقَفْتُ لَهُ حَتَّى فَرَغَ ثُمَّ سِرْتُ مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَنِ اللَّتَانِ تَظَاهَرَتَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَزْوَاجِهِ؟ فَقَالَ: تِلْكَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنْ كُنْتُ لَأُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ هَذَا مُنْذُ سَنَةٍ، فَمَا أَسْتَطِيعُ هَيْبَةً لَكَ، قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ مَا ظَنَنْتَ أَنَّ عِنْدِي مِنْ عِلْمٍ فَاسْأَلْنِي، فَإِنْ كَانَ لِي عِلْمٌ خَبَّرْتُكَ بِهِ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا فِي الجَاهِلِيَّةِ مَا نَعُدُّ لِلنِّسَاءِ أَمْرًا، حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِنَّ مَا أَنْزَلَ، وَقَسَمَ لَهُنَّ مَا قَسَمَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا فِي أَمْرٍ

(١) صحيح البخاري (٥٢٦٨)

أَتَأَمَّرُهُ، إِذْ قَالَتِ امْرَأَتِي: لَوْ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَقُلْتُ لَهَا: مَا لَكَ، وَلِمَا هَا هُنَا وَفِيمَ تَكَلُّفُكِ فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ، فَقَالَتْ لِي: عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، مَا تُرِيدُ أَنْ تُرَاجِعَ أَنْتَ وَإِنَّ ابْنَتَكَ لَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ مَكَانَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَالَ لَهَا: يَا بُنَيَّةُ إِنَّكِ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ، فَقَالَتْ حَفْصَةُ: وَاللَّهِ إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ، فَقُلْتُ: تَعْلَمِينَ أَنِّي أُحَذِّرُكِ عُقُوبَةَ اللَّهِ، وَغَضَبَ رَسُولِهِ ﷺ، يَا بُنَيَّةُ لاَ يَغُرَّنَّكِ هَذِهِ الَّتِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهَا - يُرِيدُ عَائِشَةَ - قَالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ لِقَرَابَتِي مِنْهَا، فَكَلَّمْتُهَا فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: عَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَبْتَغِيَ أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ، فَأَخَذَتْنِي وَاللَّهِ أَخْذًا كَسَرَتْنِي عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُ أَجِدُ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهَا، وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنَ الأَنْصَارِ إِذَا غِبْتُ أَتَانِي بِالخَبَرِ، وَإِذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا آتِيهِ بِالخَبَرِ، وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ غَسَّانَ، ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا، فَقَدِ امْتَلأَتْ صُدُورُنَا مِنْهُ، فَإِذَا صَاحِبِي الأَنْصَارِيُّ يَدُقُّ البَابَ، فَقَالَ: افْتَحِ افْتَحْ فَقُلْتُ: جَاءَ الغَسَّانِيُّ، فَقَالَ: بَلْ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ، اعْتَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْوَاجَهُ، فَقُلْتُ: رَغَمَ أَنْفُ حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ، فَأَخَذْتُ ثَوْبِي فَأَخْرُجُ حَتَّى جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ يَرْقَى عَلَيْهَا بِعَجَلَةٍ، وَغُلاَمٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: قُلْ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ فَأَذِنَ لِي، قَالَ عُمَرُ: فَقَصَصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ حَدِيثَ أُمِّ سَلَمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهَا لِيفٌ، وَإِنَّ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَظًا مَصْبُوبًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهَبٌ مُعَلَّقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: ((مَا يُبْكِيكَ؟)) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: ((أَمَا

تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الآخِرَةُ))[1]

حفصة تأمر بالمعروف وتخشى على المسلمين من الفرقة

عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: " دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَنَسْوَاتُهَا تَنْطُفُ، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ مَا تَرَيْنَ، فَلَمْ يُجْعَلْ لِي مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، فَقَالَتْ: الحَقْ فَإِنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، وَأَخْشَى أَنْ يَكُونَ فِي احْتِبَاسِكَ عَنْهُمْ فُرْقَةٌ، فَلَمْ تَدَعْهُ حَتَّى ذَهَبَ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ خَطَبَ مُعَاوِيَةُ قَالَ: مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الأَمْرِ فَلْيُطْلِعْ لَنَا قَرْنَهُ، فَلَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ وَمِنْ أَبِيهِ، قَالَ حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ: فَهَلاَّ أَجَبْتَهُ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَلَلْتُ حُبْوَتِي، وَهَمَمْتُ أَنْ أَقُولَ: أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَخَشِيتُ أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً تُفَرِّقُ بَيْنَ الجَمْعِ، وَتَسْفِكُ الدَّمَ، وَيُحْمَلُ عَنِّي غَيْرُ ذَلِكَ، فَذَكَرْتُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ فِي الجِنَانِ، قَالَ حَبِيبٌ: حُفِظْتَ وَعُصِمْتَ " قَالَ مَحْمُودٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ وَنَوْسَاتُهَا[2]

*** صاحبة الصحيفة التي جمع فيها القرآن الكريم**

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ السَّبَّاقِ، أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ: ((أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ مَقْتَلَ أَهْلِ اليَمَامَةِ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عِنْدَهُ))، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: إِنَّ عُمَرَ أَتَانِي فَقَالَ: إِنَّ القَتْلَ قَدْ اسْتَحَرَّ يَوْمَ اليَمَامَةِ بِقُرَّاءِ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَسْتَحِرَّ القَتْلُ بِالقُرَّاءِ بِالْمَوَاطِنِ، فَيَذْهَبَ كَثِيرٌ مِنَ القُرْآنِ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْمُرَ بِجَمْعِ القُرْآنِ، قُلْتُ لِعُمَرَ: ((كَيْفَ تَفْعَلُ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟)) قَالَ عُمَرُ: هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ، ((فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ يُرَاجِعُنِي حَتَّى شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِذَلِكَ، وَرَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الَّذِي رَأَى عُمَرُ))، قَالَ زَيْدٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ لاَ نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الوَحْيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَتَبَّعِ القُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، ((فَوَاللَّهِ لَوْ كَلَّفُونِي نَقْلَ جَبَلٍ مِنَ الجِبَالِ مَا كَانَ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِمَّا أَمَرَنِي بِهِ مِنْ جَمْعِ القُرْآنِ))، قُلْتُ: ((كَيْفَ تَفْعَلُونَ شَيْئًا لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟))، قَالَ: هُوَ وَاللَّهِ خَيْرٌ، " فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُرَاجِعُنِي حَتَّى

(١) صحيح البخاري (٤٩١٣)

(٢) صحيح البخاري (٤١٠٨)

شَرَحَ اللَّهُ صَدْرِي لِلَّذِي شَرَحَ لَهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَتَتَبَّعْتُ القُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ العُسُبِ وَاللِّخَافِ، وَصُدُورِ الرِّجَالِ، حَتَّى وَجَدْتُ آخِرَ سُورَةِ التَّوْبَةِ مَعَ أَبِي خُزَيْمَةَ الأَنْصَارِيِّ لَمْ أَجِدْهَا مَعَ أَحَدٍ غَيْرِهِ، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} [التوبة: ١٢٨] حَتَّى خَاتِمَةِ بَرَاءَةَ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رضي الله عنه"(١)

ولما نسخ عثمان رضي الله عنه المصاحف، وحرق ما سواها، ردَّ إلى حفصة المصحف الذي أخذه منها، وظل عندها حتى ماتت، وقد ردَّه إليها ولم يحرقه كما حرق غيره وفاءً بعهده لها، وعملاً بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}.

وقد علم أن وجوده عندها لا ينشأ عنه ما يخشى على القرآن منه؛ لأنها لا تسمح بتداوله بين المسلمين، ولولا مصلحة المسلمين في جمع الناس على مصحف واحد ما أرسلت به إلى عثمان، ثم إن حفظ هذا المصحف كتراثٍ تاريخي أمرٌ مهم.

لهذه الأسباب مجتمعة رَدَّ عثمان إليها المصحف.

قال سالم بن عبد الله بن عمر: فلما توفيت حفصة، ورجعنا من دفنها، أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلنَّ إليه الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر، فأمر بها مروان فغسِلَت غسلاً، ثم شُقِّقَت، ثم أحرقت، ثم قال: إنما فعلت هذا لأني خشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب".

تُوُفِّيَتْ حَفْصَةُ: سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِيْنَ عَامَ الجَمَاعَةِ. وَقِيْلَ: تُوُفِّيَتْ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِيْنَ بِالمَدِيْنَةِ وَصَلَّى عَلَيْهَا وَالِي المَدِيْنَةِ مَرْوَانُ. قَالَهُ الوَاقِدِيُّ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سالم.

فرضي الله عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر

والحمد لله رب العالمين

(١) صحيح البخاري (٤٩٨٦)

٤ـ الإيمان باليوم الآخر

عناصر الخطبة:

أهمية الموضوع
منزلته الإيمان باليوم الآخر
صور ونماذج لمن آمن بهذا اليوم
معنى الإيمان باليوم الآخر
أقسام الناس في الإيمان باليوم الآخر.
ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

التفصيل

مقدمة: فالهدف من هذه السلسلة تذكير المسلمين ليستيقظوا من غفلتهم ورقدتهم الطويلة، ويرجعوا إلى ربهم بالتوبة والإنابة قبل أن تأتيهم الساعة بغتة وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون.

قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: فَهناك أَحْوَالٌ وَأَهْوَالٌ – يعني في الآخرة – لَا بُدَّ لَكَ – أيها المسلم – مِنْ مَعْرِفَتِهَا، ثُمَّ الْإِيمَانِ بِهَا عَلَى سَبِيلِ الْجَزْمِ وَالتَّصْدِيقِ، ثُمَّ تَطْوِيلِ الْفِكْرِ فِي ذَلِكَ لِيَنْبَعِثَ مِنْ قَلْبِكَ دَوَاعِي الِاسْتِعْدَادِ لَهَا. وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ صَمِيمَ قُلُوبِهِمْ وَلَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ سُوَيْدَاءِ أَفْئِدَتِهِمْ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ شِدَّةُ تَشَمُّرِهِمْ وَاسْتِعْدَادِهِمْ لِحَرِّ الصَّيْفِ وَبَرْدِ الشِّتَاءِ وَتَهَاوُنِهِمْ بِحَرِّ جَهَنَّمَ وَزَمْهَرِيرِهَا مَعَ مَا تَكْتَنِفُهُ مِنَ الْمَصَاعِبِ وَالْأَهْوَالِ، بَلْ إِذَا سُئِلُوا عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ ثُمَّ غَفَلَتْ عَنْهُ قُلُوبُهُمْ، وَمَنْ أُخْبِرَ بِأَنَّ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ مَسْمُومٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ الَّذِي أَخْبَرَهُ صَدَقْتَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ لِتَنَاوُلِهِ كَانَ مُصَدِّقًا بِلِسَانِهِ وَمُكَذِّبًا بِعَمَلِهِ، وَتَكْذِيبُ الْعَمَلِ أَبْلَغُ مِنْ تَكْذِيبِ اللِّسَانِ. (١)

أهمية هذا الموضوع تتجلى فيما يلي:

١- انفتاح الدنيا الشديد على كثير من الناس في هذا الزمان وما صحب ذلك من مكر الليل والنهار بأساليب جديدة ودعايات خبيثة تزين الدنيا في أعين الناس وتصدهم عن الآخرة.

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٥١١)

٢- ركون كثير من الناس للدنيا ولقد ترتب على ذلك أن قست القلوب، وتحجرت الأعين، وهُجِرَ كتاب الله عز وجل، وإذا قرأ أحدنا القرآن قرأه بقلب لاهٍ، فأنّى لمثل ذلك القلب أن يخشع لذكر الله؟ وأنّى لعينيه أن تدمع خوفاً من الله، وقد انعكس ذلك على الصلاة فقلّ الخاشعون والمطمئنون فيها. . والله المستعان.

٣- لما في تذكر قرب ذلك اليوم ومشاهده العظيمة من حثٍّ على العمل الصالح والمبادرة لفعل الخيرات وترك المنكرات، بل ما تكاسل المتكاسلون في عمل الصالحات سواء الواجب منها والمسنون إلا بسبب الغفلة عن الآخرة والانشغال عنها.

٤- لما تميز به زماننا اليوم من كثرة المظالم في بعض المجتمعات واعتداء الناس بعضهم على بعض، من أكلٍ لأموال غيرهم بدون وجه حق، وكذلك النيل من الأعراض، والحسد والتباغض، والفرقة والاختلاف، ولا شك أنه لا شيء مثل تذكر اليوم الآخر وتذكر الوقوف بين يدي الله عز وجل علاجاً لتلك الأمراض.

٥- ولما كان الركون إلى الدنيا والغفلة عن الآخرة من أعظم الأسباب في وهن النفوس وضعفها كان لا بد من التذكير المستمر بذلك اليوم وما فيه من نعيم أو جحيم، لأن في هذا التذكير أكبر الأثر في نشاط الهمم وعدم الاستسلام للوهن واليأس رجاء ثواب الله عز وجل وما أعده للطائعين والداعين إليه.

قال ابن القيم رحمه الله: فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَجْتَمِعُ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ بِالْمَعَادِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَيَتَخَلَّفُ الْعَمَلُ؟ وَهَلْ فِي الطِّبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّهُ مَطْلُوبٌ غَدًا إلَى بَيْنِ يَدَيْ بَعْضِ الْمُلُوكِ لِيُعَاقِبَهُ أَشَدَّ عُقُوبَةٍ، أَوْ يُكْرِمَهُ أَتَمَّ كَرَامَةٍ، وَيَبِيتُ سَاهِيًا غَافِلاً لَا يَتَذَكَّرُ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ، وَلَا يَسْتَعِدُّ لَهُ، وَلَا يَأْخُذُ لَهُ أُهْبَتَهُ.

قِيلَ: هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ سُؤَالٌ صَحِيحٌ وَارِدٌ عَلَى أَكْثَرِ هَذَا الْخَلْقِ، فَاجْتِمَاعُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ

أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ وَهَذَا التَّخَلُّفُ لَهُ عِدَّةُ أَسْبَابٍ: أَحَدُهَا: ضَعْفُ الْعِلْمِ، وَنُقْصَانُ الْيَقِينِ. (١)

ما معنى الإيمان باليوم الآخر؟

معناه التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك. ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة. وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع وتفاصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم عز وجل. (٢)

منزلة الإيمان باليوم الآخر من الدين:

١ – إن الإيمان باليوم الآخر أمر معلوم من الدين بالضرورة، وهو أحد أركان الإيمان الستة، التي لا يصح الإيمان بدونها، وكلما ازدادت معرفة العبد بتفاصيله، ازداد إيمانه. **فعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، في حديث جبريل الطويل، وفيه أن جبريل عليه السلام سأل الحبيب المصطفى ﷺ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)). (٣) فلا إيمان إذاً للشخص وإن قال أنه مؤمن بالله حتى يؤمن باليوم الآخر كإيمانه بالله تعالى، وإن المفرق بينهما لا حظَّ له من الإيمان وإن ادعاه.

٢ – قرن الله جل وعلا الإيمان به بالإيمان باليوم الآخر في كثير من المواضع في القرآن

فقال تعالى {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى{ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق: ٢]

(١) الداء والدواء (ص: ٣٧)

(٢) ٢٠٠ سؤال وجواب في العقيدة الاسلامية (ص: ٥٥)

(٣) رواه مسلم (٨)

وقال تعالى: { وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النساء: **٣٩**] وقال سبحانه{ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النساء: **٥٩**] في مواضع كثيرة في كتاب الله جل وعلا.

٣ – كذلك قرن النبي ﷺ الإيمان بالله بالإيمان باليوم الآخر في كثير من الأحاديث

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)). (١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)). (٢)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ)). (٣) وغيرها من الأحاديث

٤ – الإكثار من ذكره في القرآن الكريم وفي السنة النبوية:

فقلما تخلو سورة من سور القرآن عن التحدث عنه وتقريبه إلى الأذهان بشتى الأساليب، من إقامة للحجة والبرهان، أو من ضرب الأمثال، كالاستدلال بالنشأة الأولى، وكذا خلق السموات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها – على الإعادة، وما إلى ذلك من المسالك التي سلكها القرآن الكريم. . .

٥ – كثرة الأسماء التي جاءت لهذا اليوم في القرآن الكريم:

فقد وردت أسماء كثيرة لليوم الآخر في القرآن الكريم، وكلها تبين ما سيقع في هذا اليوم من أهوال.

---

(١) رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧)

(٢) رواه مسلم (٧٦)

(٣) رواه البخاري (١٠٨٨) و مسلم (١٣٣٩)

ومعلوم من أساليب العرب أنهم يكثرون الأسماء للشيء إذا كان ذا أهمية وشأن، وقد نزل القرآن بلغتهم.

أقسام الناس في باب الإيمان باليوم الآخر:

١- قسم كذبوا بهذا اليوم بأقوالهم وأفعالهم:

وهؤلاء هم الكافرون والمنافقون والملحدون الذين ينكرون الغيب ولا يؤمنون إلا بما وافق أهوائهم وأبصرته أعينهم، قال تعالى عن هؤلاء { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: ٧]

وقال تعالى{**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**} [الإسراء: ٤٩]

وقال تعالى عن هؤلاء المكذبين بالبعث { أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} [المؤمنون: ٣٥ - ٣٧]

لكن الله جل وعلا قرر هذه الحقيقة وأبطل زعم هؤلاء، فقال تعالى{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]

قال تعالى {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)}

قال ابن القيم رحمه الله: وَإِذَا تَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ حَالَهُ مِنْ مَبْدَأِ كَوْنِهِ نُطْفَةً إِلَى حِينِ كَمَالِهِ وَاسْتِوَائِهِ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ مَنْ عُنِيَ بِهِ هَذِهِ الْعِنَايَةَ، وَنَقَلَهُ إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ، وَصَرَّفَهُ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ، لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُهْمِلَهُ وَيَتْرُكَهُ سُدًى، لَا يَأْمُرُهُ وَلَا يَنْهَاهُ وَلَا يُعَرِّفُهُ بِحُقُوقِهِ عَلَيْهِ، وَلَا يُثِيبُهُ وَلَا يُعَاقِبُهُ. (١)

(١) الداء والدواء (ص: ٣٧)

٢ – قسم صدقوا بألسنتهم وكذبوا بأفعالهم، ونسوا لقاء الله تعالى

وهؤلاء الصنف علموا وأقروا أنه لابد من لقاء الله تعالى ثم الحساب بين يديه ولكنهم غفلوا عن هذه الحقيقة وشغلتهم الدنيا وهمومها عن الآخرة وأهوالها، قال تعالى{ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦)} [المطففين: ٤ – ٦]

قال تَعَالَى {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ} [الأنبياء: ١ – ٣]

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: دَنَا حِسَابُ النَّاسِ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَنِعَمِهِمُ الَّتِي أَنْعَمَهَا عَلَيْهِمْ فِيهَا، فِي أَبْدَانِهِمْ، وَأَجْسَامِهِمْ، وَمَطَاعِمِهِمْ، وَمَشَارِبِهِمْ، وَمَلَابِسِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نِعَمِهِ عِنْدَهُمْ، وَمَسْأَلَتُهُ إِيَّاهُمْ مَاذَا عَمِلُوا فِيهَا، وَهَلْ أَطَاعُوهُ فِيهَا، فَانْتَهَوْا إِلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ فِي جَمِيعَهَا، أَمْ عَصَوْهُ فَخَالَفُوا أَمْرَهُ فِيهَا؟ {وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ١] يَقُولُ: وَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَمَّا اللَّهُ فَاعِلٌ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَنْ دُنُوِّ مُحَاسَبَتِهِ إِيَّاهُمْ مِنْهُمْ، وَاقْتِرَابِهِ لَهُمْ فِي سَهْوٍ وَغَفْلَةٍ، وَقَدْ أَعْرَضُوا عَنْ ذَلِكَ، فَتَرَكُوا الْفِكْرَ فِيهِ، وَالِاسْتِعْدَادَ لَهُ وَالتَّأَهُّبَ، جَهْلاً مِنْهُمْ بِمَا هُمْ لَاقُوهُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْبَلَاءِ، وَشَدِيدِ الْأَهْوَالِ. (١)

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى اقْتِرَابِ السَّاعَةِ وَدُنُوِّهَا، وَأَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا، أَيْ: لَا يَعْمَلُونَ لَهَا، وَلَا يَسْتَعِدُّونَ مِنْ أَجْلِهَا. (٢)

لذلك حذر الله تعالى عباده المؤمنين من الغفلة عن لقائه وأمرهم أن يستعدوا ويتجهزوا لذلك فقال تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٢١)

(٢) تفسير ابن كثير(٥/ ٣٣١)

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) } [الحشر: ١٨ - ٢٠]

فالجزاء أن الله تعالى ينساهم يوم القيامة كما نسوا هذا اليوم وتغافلوا عنه.

قال تعالى{ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥)} [الجاثية: ٣٤، ٣٥]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قال ((يَلْقَى اللهُ الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ)). (١)

بل إنّ هذا الصنف من الناس يحشرون يوم القيامة عمياً يتخبطون في عرصات القيامة، قال تعالى{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) رواه مسلم (٢٩٦٨)

أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه: ١٢٤- ١٢٦]

٣ – قسم آمنوا بهذا اليوم واستعدوا له وعملوا له ألف حساب:

قال الله تعالى في صفات عباده المؤمنين الموحدين المصلين{ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٦) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨)} [المعارج: ٢٦ - ٢٨]

فلما استقر الإيمان باليوم الآخر في قلوبهم، وتفكروا في أحواله وأهواله وجِلتْ قلوبهم وارتعدت، فحملهم ذلك على المسارعة إلى الخيرات، **قال تعالى عنهم**{ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}[المؤمنون: ٥٧ -٦١]

ولما استقر الإيمان باليوم الآخر في قلوبهم، لم تشغلهم التجارات ولا المصالح الدنيوية عن العمل لهذا اليوم، قال تعالى{ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [النور: ٣٦- ٣٨]

ولما علموا أن الله تعالى مطلعٌ على نياتهم، وأنهم موقوفون بين يديه سبحانه في هذا اليوم أخلصوا العمل له، قال تعالى{ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا } [الإنسان: ٧ - ١٢]

صور للسابقين والمقربين في خوفهم واستعدادهم ليوم الدين

هذا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام يخشى الخزي يوم القيامة فقال كما نقل عنه القرآن { وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: ٨٧ - ٨٩]

وهذا محمد بن عبد الله ﷺ أحب الخلق إلى الله تعالى ومع ذلك يخشى لقاء الله

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ فَقَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا)) قَالَ: فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، قَالَ: غَطَّوْا رُءُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ. (١)

وعَنِ الْبَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: ((رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ - أَوْ تَجْمَعُ - عِبَادَكَ)). (٢)

وعَنْ حَفْصَةَ رضي الله عنها، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ، عِبَادَكَ ثَلاَثَ مِرَارٍ)). (٣)

أحوال الصحابة والسلف وذكر خوفهم من لقاء الله تعالى

قال ابن القيم رحمه الله: مَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَجَدَهُمْ فِي غَايَةِ الْعَمَلِ مَعَ غَايَةِ الْخَوْفِ، وَنَحْنُ جَمِيعًا بَيْنَ التَّقْصِيرِ، بَلِ التَّفْرِيطِ وَالْأَمْنِ.

---

(١) رواه مسلم (٢٣٥٩)

(٢) رواه مسلم (٧٠٩)

(٣) رواه أبو داود (٥٠٤٥)

فَهَذَا الصِّدِّيقُ ﷺ وَكَانَ يَبْكِي كَثِيرًا، وَيَقُولُ: ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا. ولما احْتَضَرَ، قَالَ لِعَائِشَةَ: يَا بُنَيَّةُ، إِنِّي أَصَبْتُ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ هَذِهِ الْعَبَاءَةَ وَهَذِهِ الْحِلاَبَ وَهَذَا الْعَبْدَ، فَأَسْرِعِي بِهِ إِلَى ابْنِ الْخَطَّابِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ هَذِهِ الشَّجَرَةَ تُؤْكَلُ وَتُعْضَدُ.

وَهَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: قَرَأَ سُورَةَ الطُّورِ إِلَى أَنْ بَلَغَ: {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ} فَبَكَى وَاشْتَدَّ بُكَاؤُهُ حَتَّى مَرِضَ وَعَادُوهُ. **وَقَالَ لِابْنِهِ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ:** وَيْحَكَ ضَعْ خَدِّي عَلَى الْأَرْضِ عَسَاهُ أَنْ يَرْحَمَنِي، ثُمَّ قَالَ: وَيْلُ أُمِّي، إِنْ لَمْ يَغْفِرْ لِي (ثَلاَثًا)، ثُمَّ قُضِيَ.

وَكَانَ يَمُرُّ بِالْآيَةِ فِي وِرْدِهِ بِاللَّيْلِ فَتُخِيفُهُ، فَيَبْقَى فِي الْبَيْتِ أَيَّامًا يُعَادُ، يَحْسَبُونَهُ مَرِيضًا، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ ﷺ خَطَّانِ أَسْوَدَانِ مِنَ الْبُكَاءِ.

وَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، مَصَّرَ اللَّهُ بِكَ الْأَمْصَارَ، وَفَتَحَ بِكَ الْفُتُوحَ، وَفَعَلَ، فَقَالَ: وَدِدْتُ أَنِّي أَنْجُو لَا أَجْرَ وَلَا وِزْرَ.

وَهَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ﷺ كَانَ إِذَا وَقَفَ عَلَى الْقَبْرِ يَبْكِي حَتَّى تُبَلَّ لِحْيَتُهُ، وَقَالَ: لَوْ أَنَّنِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ لَا أَدْرِي إِلَى أَيَّتِهِمَا يُؤْمَرُ بِي، لَاخْتَرْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ إِلَى أَيَّتِهِمَا أَصِيرُ.

وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَبُكَاؤُهُ وَخَوْفُهُ، وَكَانَ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ مِن اثْنَتَيْنِ: طُولِ الْأَمَلِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى، قَالَ: فَأَمَّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ، وَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ مُدَبِّرَةً، وَالْآخِرَةَ مُقْبِلَةٌ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ.

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ ﷺ، أَسْفَلُ عَيْنَيْهِ مِثْلُ الشِّرَاكِ الْبَالِي مِنَ الدُّمُوعِ.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ ﷺ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ، وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أُخْلَقْ.

وَقَرَأَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ ﷺ لَيْلَةً سُورَةَ الْجَاثِيَةِ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}. جَعَلَ يُرَدِّدُهَا وَيَبْكِي حَتَّى أَصْبَحَ. (١)

(١) الداء والدواء (ص: ٤١)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو وقفتُ بين الجنة والنار، فقيل لي: اختر نُخَيِّرُك من أيهما تكونُ أحبُّ إليك، أو تكونَ رماداً؟ لأحببتُ أن أكونَ رماداً!. (١)

وكان مالك بن دينار رحمه الله، يظل طول ليله قابضًا على لحيته ويقول: يا رب، قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي أي الدارين دار مالك بن دينار؟!.

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

١- الرغبة في فعل الطاعات، والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم.

يقول الإمام ابن القيم: وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنَّ مَنْ رَجَا شَيْئًا اسْتَلْزَمَ رَجَاؤُهُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ: أَحَدُهَا: مَحَبَّةُ مَا يَرْجُوهُ. الثَّانِي: خَوْفُهُ مِنْ فَوَاتِهِ. الثَّالِثُ: سَعْيُهُ فِي تَحْصِيلِهِ بِحَسْبِ الْإِمْكَانِ. وَأَمَّا رَجَاءٌ لَا يُقَارِنُهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْأَمَانِيِّ، وَالرَّجَاءُ شَيْءٌ وَالْأَمَانِيُّ شَيْءٌ آخَرُ، فَكُلُّ رَاجٍ خَائِفٌ، وَالسَّائِرُ عَلَى الطَّرِيقِ إِذَا خَافَ أَسْرَعَ السَّيْرَ مَخَافَةَ الْفَوَاتِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ**)). (٢)

٢- الرهبة من فعل المعاصي، والحذر من الرضى بها؛ خوفا من عقاب ذلك اليوم.

قال السعدي رحمه الله: معرفةُ ذلك اليوم حقيقةَ المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خربَ كلَّ الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الانكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر. (٣)

مَثِّلْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا المَغْرُوْرُ . . يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُوْرُ

قَدْ كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُضْعِفَتْ . . حَرًّا عَلَى رُؤُوسِ العِبَادِ تَفُوْرُ

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (٧/ ٤٩٩)، حلية الأولياء (١/ ١٣٣)

(٢) الداء والدواء (ص: ٣٩)

(٣) تفسير السعدي(ص: ٣٧)

وَإِذَا الجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأَصُولِهَا. . . فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيْرُ
وإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاثَرَتْ. . . وتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُوْرُ
وإِذَا العِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا. . . خَلَتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُوْرُ
وإِذَا الوُحُوشُ لَدَى القِيَامَةِ أُحْضِرَتْ. . . وتَقُوْلُ لِلأمْلاكِ أَيْنَ نَسِيْرُ
فَيُقَالُ سِيْرُوا تَشْهَدُوْنَ فَضَائِحًا. . . وَعَجَائِبًا قَدْ أُحْضِرَتْ وَأُمُوْرُ
وإِذَا الجَنِيْنُ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقٌ. . . خَوْفَ الحِسابِ وَقَلْبُهُ مَذْعُوْرُ
هَذَا بِلا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَولِهِ. . . كَيْفَ المُقِيْمُ عَلَى الذُّنُوْبِ دُهُوْرُ

٣- تسلية المؤمن عما يفوته من متاع الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

فالدنيا بأموالها وأملاكها وأرضها ومتعتها وزهرتها ما هي إلا قطرات في الآخرة، **فعن المستورد بن شداد** رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟)). (١)

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ، قَالَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)). (٢)

٤- إذا استقر الإيمان باليوم الآخر في قلب العبد زاد صبره على الأذى والمصائبِ.

فمن أعظم الأسباب التي تعين العبد على الصبر عند نزول المصائب في الدنيا علمه وتيقنه بلقاء الله تعالى وإيمانه باليوم الآخر، لأنه يعلم يقيناً أنه سيجازى في هذا اليوم على كل صغيرة وكبيرة تصدر منه في الدنيا لذلك التزم الصبر. **قال تعالى**{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧]

(١) رواه مسلم (٢٨٥٨)

(٢) رواه أحمد (١/ ٤٤١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٨٩)

- من كانت الآخرة همه كفاه الله هموم الدنيا

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، **قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ)). (١)

- الإيمان بقرب يوم القيامة سبب في قصر الأمل ومِنْ ثَمَّ الانشغال بالعمل

قال القرطبي رحمه الله: وَمَنْ عَلِمَ اقْتِرَابَ السَّاعَةِ قَصُرَ أَمَلُهُ، وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِالتَّوْبَةِ، وَلَمْ يَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا، فَكَأَنَّ مَا كَانَ لَمْ يَكُنْ إِذَا ذَهَبَ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، وَالْمَوْتُ لَا مَحَالَةَ آتٍ، وَمَوْتُ كُلِّ إِنْسَانٍ قِيَامُ سَاعَتِهِ، وَالْقِيَامَةُ أَيْضًا قَرِيبَةٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ، فَمَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا أَقَلُّ مِمَّا مَضَى. (٢)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ)) وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: ((إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)). (٣)

والحمد لله رب العالمين

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١١١٠)

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٢٦٧)

(٣) رواه البخاري (٦٤١٦)

المكتبة الفقهية

قال فضيلة الشيخ محمد عبد العزيز حفظه الله حينما سئل عن عمدة كتب المذاهب الفقهية مع ذكر أهم المراجع الفقهية الأخري. وأهم كتب أصول الفقه والقواعد الفقهية.

فقال حفظه الله فلابد من الإشارة إلى أمرين:

الأول: ينبغي لطالب العلم أن يأخذ نفسه بالتدرج في طلب العلم، فما يصلح في النهايات، لا يصلح في البدايات.

الآخر: أنا سأكتب لك هنا أهم ما طلبت . وفقك الله و رعاك . غير مراع طريق الطلب بل تكوين المكتبة العلمية في الفروع التي حددتها، وهي من رأس القلم فقد يند ويذهل عن كثير من المهمات:

أولاً: الفقـــــــــــه:

المذهب الحنفي:

عمدة المتأخرين في الفقه الحنفي: متن بداية المبتدي و شرحه الهداية كلاهما للمرغيناني، وما تفرع عنهما.

.أهم شروح الهداية:

البناية شرح الهداية للعيني. وفتح القدير لابن الهمام. وفتح باب العناية شرح الهداية للبابرتي، و هو مطبوع مع فتح القدير في الطبعات القديمة.

و من الكتب المهمة في المذهب: المبسوط لأبي بكر محمد بن أبي سهل السَرَخْسِيِّ، وهو شرح لكتاب المختصر للحاكم الشهيد أبي الفضل محمد بن أحمد المروزي، و هو كتب يعنى بالدليل و التعليل، و هذا الكتاب قال فيه ابن عابدين:

وكتب ظاهر الرواية أتت *** ستاً وبالأصول سميت

صنفها محمد الشيباني *** حرر فيها المذهب النعماني

الجامع الصغير والكبير *** والسير الكبير والصغير

ثم الزيادات مع المبسوط *** تواترت بالسند المضبوط

ويجمع الست كتاب الكافي *** للحاكم الشهيد فهو الكافي

أقوى شروحه الذي كالشمس *** مبسوط شمس الأمة السرخسي

وبدائع الصنائع في معرفة الشرائع، لأبي بكر علاء الدين الكاساني، و هو شرح لمتن تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي.

و معتمد الفتوى عند المتأخرين: حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار للحصكفي، و الدر المختار شرح لمتن تنوير الأبصار، و جامع البحار للتمرتاش).

المذهب المالكي:

عمدة المتأخرين في الفقه المالكي: المختصر المعروف بمختصر خليل لخليل بن موسى بن إسحاق المعروف بالجندي، وهذا الكتاب عليه كثير من الشروح و الحواشي.

أهم شروح المختصر:

١. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للحطاب، وهذا الكتاب معتمد أهل المغرب.

٢- شرح الخرشي على مختصر خليل، للخرشي.

٣- التاج والإكليل شرح مختصر خليل، للمواق.

٤- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير للدردير، لمحمد عرفه الدسوقي، و هذا الكتاب معتمد المالكية من أهل مصر.

٥- شرح الزرقاني على مختصر خليل، للزرقاني.

المذهب الشافعي:

عمدة المتأخرين في الفقه الشافعي: متن منهاج الطالبين وعمدة المفتين، ومتن روضة الطالبين و عمدة المفتين، كلاهما للنووي، و شروحهما و ما تفرع عنهما.

أهم شروح المنهاج:

١. تحفة المحتاج شرح المنهاج لابن حجر الهيتمي.

٢. نهاية المحتاج شرح المنهاج للرملي.

obeikandl.com

٣. مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج للخطيب الشربيني.

و هذه الشروح من حيث الأهمية على الترتيب الذي سبق.

٤ . **و من الكتب المهمة في المذهب**: المجموع شرح المهذب للنووي، و المهذب للشيرازي، ولم يكمله الإمام النووي بل وصل فيه إلى باب الربا من كتاب البيوع، ثم أكمل الكتاب بعده السبكي، فوصل بشرحه إلى كتاب الوديعة، ولم يتم الشرح.

.والبيان لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني، و هو شرح لكتاب المهذب للشيرازي، وهذا الكتاب نهل منه كل من جاء بعده من الشافعية كالنووي والسبكي وغيرهما.

.والحاوي الكبير وهو شرح لمختصر المزني، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي

المذهب الحنبلي:

عمدة المتأخرين في الفقه الحنبلي: متن المقنع لموفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة وما تفرع عنه.

ومن أهم شروحه:

شرح ابن أخيه أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن قدامة المقدسي: الشرح الكبير، فهذا الشرح جمع " المغني شرح مختصر الخرقي "، للموفق، فلم يترك من مقاصده شيئًا وزاد عليه كثير من الأدلة و الفوائد والفروع الفقهية تبعًا لأصله المقنع.

والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي، فالمرداوي في هذا الكتاب يعد مصححًا للمذهب، وعلى كتابه هذا بنى جل من جاء بعده، فقد مهد لهم الطريق، ولذا فجل من بعده مختصر لكتابه غير مستغن عنه.

ومعتمد المتأخرين في الفتوى الآن: منتهى الإرادات لابن النجار الفتوحي، والإقناع لطالب الانتفاع لأبي النجا الحجاوي.

هذا ولن يستغني الفقيه عن عدد من الكتب منها على سبيل الاختصار غير ما سبق:

.الأوسط، والإشراف كلاهما لابن المنذر.

.الاستذكار، والتمهيد كلاهما لابن عبد البر.

.المحلى لابن حزم.

.بداية المجتهد لابن رشد.

ثانيًا: الأصـــول:

• طريقة الشافعية (المتكلمين)، و عليها معظم مناهج المعاصرين:

أهم الكتب:

.البرهان للجويني. المستصفى للغزالي.

وهذه الطريقة انتهت إلى كتابين اثنين جل من جاء بعدهما ناهل منهما إما مختصر، وهذه جل المصنفات بعدهما، و إما شارح، وإما ناهل من معينهما، أو مستدرك عليهما، وهما:

.المحصول للفخر الرازي.

.الإحكام في أصول الأحكام للأمدي.

ومن الكتب المهمة وهي كثيرة على هذه الطريقة:

.الإبهاج شرح المنهاج لابني السبكي.

.رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب لعبد الوهاب السبكي.

.روضة الناظر لابن قدامة.

.شرح الكوكب المنير لابن النجار الفتوحي.

• ومن كتب تخريج الفروع على الأصول على هذه الطريقة ـ وهي مهمة لطالب العلم مربية للملكة:

.التمهيد في تخريج الفروع على الأصول للأسنوي.

.مفتاح الوصول في بناء الفروع على الأصول للتلمساني.

.تخريج الفروع على الأصول للزنجاني.

• طريقة الحنفية (الفقهاء):

معتمد الحنفية المتأخرين في بيان أصول المذهب إجمالاً على:

كتاب: الفصول في الأصول: لأبي بكر الجصاص

obeikandi.com

كتاب: كنز الوصول الى معرفة الأصول لعلي بن محمد البزدوي، و من أهم شروحه كتاب: كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري.

كتاب: تمهيد الفصول في الأصول، المعروف بـ: (أصول السرخسي).

كتاب مسلم الثبوت: لمحب الدين بن عبد الشكور الحنفي، المتوفى، و عليه شرح نفيس اسمه " فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت " لعبد العلي محمد بن نظام الدين الأنصاري.

ومعتمد خاتمة محققي الحنفية ابن عابدين في ذكر أصول المذهب كتاب التوضيح لمتن التنقيح: والتوضيح والتنقيح كلاهما لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي، وقد لقي هذا الشرح عناية فائقة فدُرِس في معظم المعاهد العلمية ووضع عليه كثير من الحواشي والتعليقات.

- **و من كتب تخريج الفروع على الأصول على هذه الطريقة:**

– كتاب تأسيس النظر لأبي زيد الدبوسي.

ومن الكتب المهمة التي لا غنى عنها:

.الموافقات للشاطبي.

.أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية.

.الإحكام في أصول الأحكام، و النبذ كلاهما لابن حزم.

ثالثا: القواعد الفقهية:

من أهم كتب القواعد الفقهية:

المذهب الحنفي: الأشباه والنظائر لابن نجيم. غمز عيون البصائر للحموي. مجامع الحقائق للخادمي. نزهة النواظر لابن عابدين. مجلة الأحكام العدلية.

المذهب المالكي:

.المُذهب لابن رشد. القواعد للمقري. إيضاح المسالك للونشريسي.

المذهب الشافعي:

. المنثور في القواعد للزركشي. القواعد الكبرى للعز ابن عبد السلام. الأشباه والنظائر لابن السبكي. الأشباه و النظائر للسيوطي. الأشباه والنظائر لابن الوكيل.

المذهب الحنبلي:

.القواعد النورانية لابن تيمية. قواعد ابن رجب الحنبلي. القواعد الكبرى والصغرى للطوفي. مغني ذوي الأفهام لابن عبد الهادي.

ومن أهم كتب الفروق الفقهية:

المذهب الحنفي:

- الفروق، لأبي الفضل محمد بن صالح الكرابيسي السمرقندي.
- الفروق، لأبي المظفر أسعد بن محمد الكرابيسي النيسابوري.
- تلقيح العقول في فروق المنقول، للمحبوبي (ت: ٦٣٠هـ) مخطوط.

المذهب المالكي:

- أنوار البروق في أنواء الفروق، للقرافي.
- الفروق الفقهية، لأبي الفضل مسلم بن علي الدمشقي.
- عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، للونشريسي.

المذهب الشافعي:

- مطالع الدقائق في تحرير الجوامع والفوارق، للإسنوي.
- الاستغناء في الفروق والاستثناء، لمحمد بن أبي بكر بن سليمان البكري.

المذهب الحنبلي:

نظم الفروق، الناظم: محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي، وهو نظم لفروق ابن سنينة

أسأل الله لك التوفيق و السداد.

والحمد لله رب العالمين

جدول المحتويات

الأدعيـــــــاء..... ٢
١ـ فضل الغني في شرح حديث الولي..... ٥
٢ - حق اليتيم في الشريعة الإسلامية..... ١٦
٣-أُمُ المُؤمِنِيْنَ حفصة بنت عمر بن الخطاب..... ٢٦
٤ـ الإيمان باليوم الآخر..... ٣٣
المكتبة الفقهية..... ٤٧

المشاركة أو الاستفسار

اتصل على ت مجمع التوحيد ببلبيس / 055-2847990

ولمتابعة الخطب ومحاضرات معهد إعداد الدعاة من خلال
موقع مسجد التوحيد - بلبيس

www.altawhed.net

ويمكن التواصل من خلال موقع التواصل الاجتماعي -فيس بوك-

مسجد التوحيد - بلبيس
www.facebook.com/MasjedAltawhed

أو

معهد إعداد الدعاة - بلبيس
www.facebook.com/Alm3had

واللجنة تقبل مشاركتكم من خلال خطب مكتوبة مشروطة أن تتسم بالموضوعية والمنهجية مدعمة بالأدلة النقلية من القرآن والسنة الصحيحة على أن يتم مراجعتها من قبل اللجنة وتعديلها على حسب المنهج المرسوم، والحق الأدبي – بذكر اسم صاحب الكتابة- مكفول لصاحب الخطبة

obeikandl.com